

**THE CONCEPT OF DELIBERATION: ITS  
APPEARANCE , PIONEERS, SIGNIFICANCE, ITS  
PRINCIPLES AND FUNCTION**

**Belqes Ahmed Ali Alkebsi<sup>1</sup>**

**Abstract**

The objective of this research is to clarify the nature of the deliberation, its origin, its pioneers, its importance, its principles and its functions. This deliberation is considered a linguistic methodology that specialized in the study of the use of linguistic evidence in the discourse and how it is interpreted. Also it explains the reasons for the success of the process of communication and it is a means of understanding and criticism. Knowledge, discrimination and measurement of the degree of health and error in the subjects studied. It also comprehended linguistic, communicative, literary, psychological and philosophical fields. And the intersection of science-related fields in the language, a science that studies ideas, meanings, terms, concepts, references, and everything related to language use. So the deliberation is a new monetary approach dealing with creative texts of various kinds, and the subject of research to employ the linguistic meaning in actual use. Additionally, it is taught the language from multiple sides. It has several advantages, including the removing of the ambiguity of the elements of linguistic communication, explain methods of reasoning, and deal with the trumpets through the tributaries of knowledge such as inferences, beliefs, intentions, The communicative streams are represented by the speakers' purposes, interests and wishes. In addition, it is interested in studying the use of language and the conditions of use according to the objectives of the speakers and the conditions of the speakers, studying the literary discourse in relation to the context of verbal and communicative, focuses on the acts of speech, explore logical and pilgrimage relations, and understanding the relations between the speaker and the recipient within a particular context, texts by approach as communication, functionalism, pragmatism, pragmatism, and pilgrimage.

**Keywords:** Curriculum, Deliberation, Linguistics.

---

<sup>1</sup> [balkbsy0@gmail.com](mailto:balkbsy0@gmail.com)

" مَفْهُومُ التَّدَاوُلِيَّةِ، نَشَأَتَهَا، رَوَادِهَا، أَهْمِيَّتَهَا، مَبَادِئُهَا، وَمَهَامُهَا "

محور: (اللسانيات والتراث العربي)

بلقيس الكبسي

باحثة: جامعة سيدي محمد بن عبد الله

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - فاس / المغرب

قسم اللغة العربية

### الملخص

هدف هذا البحث إلى إيضاح ماهية التداولية، نشأتها، روادها، أهميتها، مبادئها ومهامها، حيث تُعدُّ منهجاً لسانياً متخصصاً في دراسة استخدام الأدلة اللغوية في الخطاب، وكيفية تأويلها، وتوضح أسباب نجاح عملية التخاطب، وهي أداة للتفسير والنقد معاً، ووسيلة معرفية تعين على الفهم والمعرفة والتمييز وقياس درجة الصحة والخطأ في المواضيع المدروسة. كما أنها تستوعب مجالات لغوية وتواصلية وأدبية ونفسية وفلسفية. ونقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة، وهي علم يدرس الأفكار، والمعاني، والألفاظ، والمفاهيم، والإشارات، وكل ما له علاقة بالاستعمال

اللغوي. ومنهج نقدي جديد يتناول النصوص الإبداعية بمختلف أنواعها، وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي، بالإضافة إلى أنها تدرس اللغة من جهات متعددة. ولها مميزات عدة منها: أنها تزيل الغموض عن عناصر التواصل اللغوي، وتشرح طرق الاستدلال، وتعالج الملفوظات من خلال الروافد المعرفية المتمثلة في: الاستدلالات، والاعتقادات، والنوايا. والروافد التواصلية ممثلة في أغراض المتكلمين، واهتماماتهم، ورغباتهم. علاوة على ذلك أنها تهتم بدراسة استعمال اللغة وأحوال الاستعمال حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين، وتدرس الخطاب الأدبي في علاقته بالسياق اللفظي والتواصلية، وتركز على أفعال الكلام، واستكشاف العلامات المنطقية والحجاجية، وفهم العلاقات الموجودة بين المتكلم والمتلقي ضمن سياق معين، كما تهتم في دراسة النصوص بالمقارنة: التواصلية، والوظيفية، والذرائعية والبراجماتية، والحجاجية. **الكلمات المفتاحية: منهج، التداولية، اللسانية.**

#### أولاً: مقدمة:

إن أهم ما يميز الدرس اللغوي العربي القديم أنه يقوم على دراسة اللغة أثناء الاستعمال منذ بدايته؛ وأن اللغة تؤخذ استعمالاً لا قاعدة، وهذا ما ذكره السيوطي في كتابه (الاقتراح في علم أصول النحو) وفيه يقول: "إذا أتاك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه" (السيوطي: 1998م، ص116). وقد تعددت مظاهر الاهتمام بدراسة الخطاب والإقناع عند العرب، فتناولوا نص الخطاب في ذاته، ودرسوا ما يرتبط بالمخاطب وطريقة أدائه، والمخاطب وطريقة تلقيه، ومطابقة الخطاب لمقتضى الظاهر ومخالفته، إلى غير ذلك من المسائل التي يمكن أن يجمعها موضوع التداولية اللسانية، والتي يمكن أن تمثل مبادئ رائدة للتفكير التداولي اللغوي عند العرب. والحديث عن التداولية في التراث العربي يُبين جانباً من الأفكار الرائدة التي تعرّض لها العلماء والباحثون والمهتمون باللغة العربية قديماً وحديثاً. فقد تناول الدارسون القدماء التكلم لغايات وأهداف، أو إشباع حاجات، أو الحصول على فائدة، وكان استعمال اللغة للأغراض والمآرب ذاتها. وأضفى المتحاورون على الملفوظات دلالات

أخرى. ولم تُغفل البلاغة العربية ذلك، بل إنها اعتمدت مبدأ "لكل مقام مقال" (محمد سويرتي: 2000، ص 30).

ومن أهم مصادر التفكير التداولي اللغوي عند العرب: علم البلاغة، وعلم النحو، والنقد، والخطابة، بالإضافة إلى الربط بين الخصائص الصورية للموضوع، والخصائص التداولية (أحمد المتوكل: 1989م، ص35). حيث لم يكن الوصف اللغوي منصباً على الجملة المجردة من مقامات إنجازها، بقدر ما نُظر إلى النص على أنه خطابٌ متكاملٌ. وكان الوصف اللغوي يربط بين المقام والمقال، وبين خصائص الجمل الصورية وخصائصها التداولية. وعن أسبقية العرب لمعرفة أصول هذا الاتجاه قال (سويرتي): "إن النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين قد مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفةً، وعلماً، ورؤيةً، واتجاهاً أمريكياً وأوروبياً، فقد وُظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة." (محمد سويرتي: 2000، ص 30-31) فالإنتاج اللغوي العربي القديم يؤول في مجموع نحوه، وبلاغته، وأصوله، وتفسيره إلى المبادئ الوظيفية. وقد ميّزت الدراسات بين قسمين من البحوث؛ قسم يعتمد على الاهتمام بالخصائص التداولية تأويلياً؛ مطابقة المقال لمقتضى الحال، نحو: (مفتاح العلوم) (للسكاكي). والآخر يعتمد على الاهتمام به توليدياً؛ بمعنى أن الخصائص التداولية ممثّل لها في الأساس ذاته، نحو (دلائل الإعجاز) (للجرجاني)، ويبرز في هذا المجال اهتمام النحاة والبلاغيين بدراسة أغراض الأساليب، من الدلالة الحقيقية إلى دلالات أخرى يقتضيها المقام (أحمد المتوكل: 1989م، ص35). ومن القضايا التي اهتم بها علماء الأصول، دراسة العلاقة بين اللفظ وما يحيل عليه، حيث نظروا إلى العبارات اللغوية من حيث أفراد المحال عليه وتعددده، وميّزوا بين عبارات عامة تحيل على معان متعددة، وعبارات خاصة تحيل على معنى مفرد، ونظروا إليها من حيث تعيين المحال عليه أو عدم تعيينه. وميّزوا بين عبارات مطلقة لا يتعين فيها المحال عليه، وعبارات مقيدة تحيل على معنى معين، وهي الفكرة نفسها التي يعرضها اللغويون في باب إطلاق الألفاظ وتقييدها (ابن فارس: 1963، ص194).

ويلتقي العلماء العرب القدامى مع ما يقترحه الوظيفيون المحدثون وفلاسفة اللغة في دراسة ظواهر الإحالة أو تحليل العبارات اللغوية حسب نوع إحالتها، والاهتمام بدراسة أفعال الكلام، وتحديد وظيفة البنية، وربط خصائص البنية بالأغراض المستهدف إنجازها باللغة. وكذا دراسة مجالات الترابط بين البنية

والوظيفة. وهذا التلاقي بين الفكر العربي اللغوي القديم، وبين ما يُقدّم حديثاً من بحوث في المجالات نفسها، يؤكد ما أسهم به اللغويون العرب في هذا التطور (أحمد المتوكل: 1989م، ص84). ومن أهمّ المبادئ المنهجية في الفكر اللغوي العربي القديم، هي أن اللغة وسيلة تواصل للتعبير عن الأغراض، وقد عرّفها ابن جني على أنها: "أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم" (ابن جني: 1418هـ، ص44) وهذا التعريف غني بالقيم التداولية، والتي من أهمها أن اللغة ذات قيمة نفعية وتعبيرية.

وقد ميّز الأصوليون بين دلالة أصلية مطلقة تتقاسمها جميع اللغات، ودلالة تابعة، خاصة بلغة بعينها. وأجمعوا على أن موضوع الدراسات اللغوية هو دراسة خصائص البنية وعلاقتها بالمقامات المنجزة فيها (أحمد المتوكل: 1989م، ص87). كما وقف المفسرون أمام آيات قرآنية عكست تصوراتهم اللغوية، تقترب بوضوح من رؤية اللسانيات التداولية الحديثة. وقدّموا وصفاً شارحاً لأحوال التواصل، وتوضيح مقامات الدعوة بالحكمة والموعظة، وفق أغراض الحديث ومقاصده، وذلك هو مجال اللسانيات التداولية الحديثة. ومنها تفسير قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل، الآية 125). وأورد الزمخشري في تفسير ذلك: "بالحكمة": هو المقالة المُحكّمة الصحيحة، وهي الدليل الموضّح للحق، المُزيل للشبهة، و(الموعظة الحسنة) هي: التي لا يخفى عليهم أنك تتأصّلُ بها وتقصد ما ينفعهم فيها، (وجادلهم بالتي هي أحسن): بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف" (الزمخشري: 1982م، ص435).

ثانياً: تعريف التداولية لغةً واصطلاحاً:

### 1- التداولية لغةً:

يرجع مصطلح (التداولية) إلى فعل (دَوَّلَ)، وقد ورد في (مقاييس اللغة) على أصلين: "أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَحْوِيلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاسْتِزْجَاءٍ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: انْدَالَ الْقَوْمُ، إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. وَمِنْ هَذَا النَّبَابِ تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ: إِذَا صَارَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، وَالدَّوْلَةُ وَالدَّوْلَةُ لُغَتَانِ. وَيُقَالُ بَلِ الدَّوْلَةُ فِي الْمَالِ وَالدَّوْلَةُ فِي الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ قِيَاسِ النَّبَابِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ يَتَدَاوَلُونَهُ، فَيَتَحَوَّلُ مِنْ هَذَا إِلَى ذَلِكَ، وَمِنْ ذَلِكَ إِلَى هَذَا" (ابن فارس: 1991م،

ص314). وجاء في (أساس البلاغة): "دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه. والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدهر دُولٌ وَعُقْبٌ ونُوبٌ. وتداولوا الشيء بينهم" (الزمخشري: 1982م، ص 139). كما جاء تعريف التداول متشابهاً في عدة معاجم أخرى، فالتداول من: الدَوْلَةُ: انقلاب الزمان من حال إلى حال، الدَوْلَةُ: العُقْبَةُ (النُّوبَةُ) في المال. وتداولوه: أخذوه بالدُولِ (ابن منظور: د.ت، ص252-253؛ الفيروز أبادي: د.ت، ص42؛ الزبيدي: 1994م، ص 245). أي: نُوبًا، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرّةً، وهذه مرّةً (الرازي: 1987، ص 215). ومن شواهد استخدامه في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿مَّا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللَّسْوَلِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (سورة الحشر، الآية 7). وتفسيرها: "كي لا يكون ذلك الفيء دُولَةً يتداوله الأغنياء منكم بينهم" (الطبري: 1995، ص 546). وفسرها الزمخشري بقوله: "كي لا يكون الفيء شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه، فلا يصيب الفقراء. والدَوْلَةُ بالفتح بمعنى التداول؛ أي: كي لا يكون ذا تداول بينهم، أو كي لا يكون إمساكُهُ تداولاً بينهم لا يُخْرِجُوهُ إِلَى الْفُقَرَاءِ" (الزمخشري: 1982م، ص 82). فمجال دلالة (الدَوْلَةُ) العام هو التداول: أن يكون مرة لدى هؤلاء، ومرة لدى آخرين. ولعل أهم معنى يستأثر به هذا اللفظ هو معنى المشاركة، وتعدد مواضع التداول، وهو المعنى الذي تأخذه إحدى اشتقاقاته في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ، وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ (سورة البقرة، الآية 188). أي: "ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم" (الزمخشري: 1982م، ص 340). ومنه قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (سورة آل عمران، الآية 140).

## 2- تعريف التداولية اصطلاحاً:

عرفت (التداولية) اصطلاحاً في الدرس اللساني الغربي الحديث بأنها: دراسة اللغة حال الاستعمال؛ أي حينما تكون متداولة بين مستخدميها، ومنه حدّد (طه عبد الرحمن) مصطلح التداولية كمقابل للمصطلح الغربي (براغماتي)، وحدّد دلالة التداوليات بأنها: هي الدراسات التي تختص بوصف وتفسير العلاقات التي تجمع (الدوال) الطبيعية و(مدلولاتها) وبين (الدالين) بها (طه عبد الرحمن: 2000، ص 28). وحول ذلك أورد قوله: "وقد وقع اختيارنا منذ (1970م) على مصطلح (التداوليات) مقابلاً للمصطلح

الغربي (براغماتياً)؛ لأنه يُؤفّي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيين: (الاستعمال)، و(التفاعل) معاً، ولقي منذ ذلك الحين قبولاً من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم" (طه عبد الرحمن: 2000، ص 27). وقد رأى أن الفعل (تداول) في (تداول الناس كذا بينهم)، يفيد معنى: تناقله الناس وأداروه بينهم، وجعله قسماً للفعل (دار) الذي من دلالاته نقل الشيء وجريانه، نحو: دار على الألسن؛ جرى عليها، ليخلص إلى أن المعنى الذي يحمله الفعل هو التواصل، ومقتضى التداول أن يكون القول موصولاً بالفعل (طه عبد الرحمن: 1993م، ص 243-244). وحدد المعنى الاصطلاحي (للتداول) بقوله: "هو وصف لكل ما كان مظهراً من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم" (طه عبد الرحمن: 1993م، ص 244). كما اقترح شروطاً للتداول اللغوي والمحاورة بأبعادها التواصلية، جمعها في الشروط النطقية، والاجتماعية، والإقناعية، والاعتقادية (طه عبد الرحمن: 2000، ص 37-38). فلا سبيل إلى معرفة الممارسة التراثية بغير الوقوف على التقريب التداولي الذي يتميز عن غيره، باستاده إلى شرائط مخصوصة، يفضي عدم استيفائها إلى الإضرار بوظائف المجال التداولي (طه عبد الرحمن: 1993م، ص 16).

فيما قدم (مسعود صحراوي) تعريفاً للتداولية في كتابه (التداولية عند العلماء العرب)، وفيه ذكر أن ميدان النقد والدراسات اللسانية لم يصبح حكراً على التيارين البنوي والتوليدي فحسب، بل إن الساحة النقدية صارت تعج بالنظريات والمفاهيم اللغوية المتباينة، والتي تمخض عنها ميلاد عدد من التيارات اللسانية، وحول التيار التداولي علق قائلاً: "هو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية" (مسعود صحراوي: 2005م، ص 50). وعرف (محمد يونس) التداولية بأنها: "دراسة كيف يكون للأقوال معانٍ في المقامات التخاطبية" (يونس: د.ت، ص 13). ويعدُّ هذا التقسيم جوهر التداولية التي تُعنى بدراسة استعمال اللغة بغض النظر عن حالتها البنوية، ودراستها الوضعية، فما يُنسبُ إلى الوضع هو الجُمْل، وما يُنسبُ إلى الاستعمال هو الأقوال (يونس: د.ت، ص 14). والتداولية بين وضع اللغة واستعمالها، فوضع اللغة هو دلالة الألفاظ والجمل على المعاني في حالتها الصورية المطلقة، بغض

النظر عن السياق التخاطبي الذي تستخدم فيه هذه المفردات والمركبات اللغوية، في حين أن دلالة الاستعمال هو دلالة اللفظ والجملة على المعنى ضمن سياق معين، هذا السياق الذي له دور كبير في تحديد المعنى، وتحديد مدى تجاوزه للوضع الأصلي، هذا تفريق الأصوليين بين الوضع والاستعمال، وهو نظير لتقسيم (دو سوسير) بين اللغة والكلام، فاللغة تُنسَبُ لعالم الوضع، والكلام يُنسَبُ لعالم الاستعمال (بونس: د.ت، ص44). ويتبين الفرق بين التداولية وعلم الدلالة، من خلال العناية بآثار الاستعمال، ومختلف السياقات في استخراج المعنى في الدراسة التداولية، فجملة (ستشرق الشمس) تتضمن دلالات متعددة في إطار التداولية، فقد تكون سؤالاً من المتكلم إلى المخاطب: هل ستشرق الشمس؟ أو إخباراً: أخبرك بأنه ستشرق الشمس. أو تعجباً: كيف ستشرق الشمس والسماء ملبدة؟! وتتحدد الدلالات بتعيين أفعال الكلام، التي يمكن أن تتضمنها الجملة التي تمثل القصد الحقيقي للمتكلم، والتي تسهم إلى جانب السياق في تحديد الدلالة الدقيقة، ونوع التواصل بينه وبين المخاطب (سامي حنا، كريم حسام الدين، نجيب جريس: د.ت، ص 112).

ورأى (أوزفالد ديكر) أن التداوليات هي: العلم الذي يهتم بدراسة كل ما يتعلق في معنى قول ما (Oswald Ducrot et Jean-Marie Schaeffer, 1995, p.131). بينما رأى (أرمينكو) بأنها: "دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية" (فرانسوا أرمينكو: 1987، ص8). ويُعدُّ (شارل موريس) أول من بادر إلى إرساء تعريف مقصود لمصطلح (التداولية)، وقد عرّفها بأنها: دراسة علاقة العلامات بمستعملها، أي دراسة اللغة أثناء ممارسة إحدى وظائفها الإنجازية، والحوارية، والتواصلية. وقد عدّها جزءاً من السيميائيات، وأن للسيميائيات ثلاثة فروع هي: التركيب النحوي؛ ويُعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات، والدلالة وهي: دراسة علاقات العلامات فيما بينها وبين الأشياء، أي ارتباطها بالمعنى، والتداولية: وهي دراسة ارتباط العلامات بمؤولها (فرانسوا أرمينكو: 1987، ص41). بينما رأى (موريس) أن التداولية هي: العلاقات بين العلامات ومستخدميها، والتعبير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئياً خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل (أن روبول وجاك موشارل: 2003، ص33). وتُعدُّ إسهامات (موريس) مهمةً في نشوء البحث التداولي؛ من خلال تقسيمه الثلاثي بين حقول علم العلامات: النحو، والدلالة، والتخاطبية أو التداولية (فرانسوا أرمينكو:



1987، ص 96). كما ذكر أن علم النحو "يدرس العلاقات بين العلامات اللغوية، وعلم الدلالة يدرس علاقاتها بالأشياء، والتخاطب يدرس علاقة العلامات بمُفسِّريها" (محمد يونس علي: د.ت، ص 335). وذهب (بيرس) إلى أنه: "لا يتسنى التفكير بدون علامات، والتفكير هو بالعلامات أي الرموز" (فرانسوا أرمينكو، 1987، ص 41). وتقديم تعريف للتداولية يُلمُّ بجميع جوانبها ويشملها أمر من الصعوبة بمكان، ذلك أنها مبحث لساني، ونظرية لم يكتمل بناؤها بعد هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجدتها تتقافؤها مصادر معرفية عديدة (خليفة بوجادي: 2009، ص 63). إذ لكل مبدأ من مبادئ التداولية مصدر انبثق منه (مسعود صحراوي: 2005، ص 17). كما أنها تتداخل مع كثير من العلوم الأخرى، مما جعل كل باحث ينطلق في تعريفها من مجال تخصصه (باديس لهويميل: 2011، ص 155).

#### ثالثاً: نشأة التداولية، وأهم رُؤاها:

ظهرت التداولية سنة (1878م)، وتبلورت في السبعينيات من القرن الماضي، وتعدُّ علماً لغوياً حديثاً بين بقية العلوم اللغوية الأخرى. بالإضافة إلى أنها نظرية نقدية اهتمت بدراسة أفعال النطق التي ظلت رداً من الزمن مغيبة عن الدراسة والتحليل، بداعي وجود حواجز وهمية بين اللغة والكلام، وبين الدلالة والاستعمال، لذلك فإن أساس التداولية قائم على رفض ثنائية (دي سوسير) (اللغة / الكلام) اللغة وحدها دون الكلام. وتهدف التداولية إلى دراسة العلاقات الموجودة بين اللغة ومتداوليها من الناطقين بها، وتحليل عمليات الكلام، ووصف وظائف الألفاظ اللغوية، وبيان خصائصها عند التواصل اللغوي. ويُعدُّ الاهتمام بالبعد التداولي للغة حديث العهد؛ حيث ظهور البحوث في المنظور الغربي، باعتباره المرجع الأساس لهذا النوع من الدراسات حتى فترة الثمانينيات (عادل الثامري: 19 / 5 / 2006م. [www.doroob.com](http://www.doroob.com)). حيث كان اهتمام علم الدلالة استخراج المعنى الكامن وراء المفردات والتراكيب، ثم طرحت الكثير من النظريات اللسانية منهجها في تفسير النصوص، وبيان معانيها. فإذا كان علم الدلالة يُعنى بدراسة المعنى من خلال المفردة والتركيب، فإنه يدرس ذلك دراسة شكلية صورية، بغض النظر عن السياقات التي تُحْفُ الكلام، لذا أطلق علماء أصول الفقه على هذه المباحث علم الوضع اللغوي (مسعود صحراوي: 2005، ص 240).

وفي مقابل العلم الذي يدرس اللغة في استعمالها اللغوي، وقريب منه تقسيم (دو سوسير) للسان والكلام يدرس علم استعمال اللغة أو التداولية (فيليب بلانشيه، 2007، ص 214). ويُعدُّ (شارل موريس) أول من حدّد هذا المفهوم تحديداً يأخذ بعين الاعتبار كل إشكالات اللغة، وقد حصر التداولية في علاقة العلامات اللغوية بمستعملها، بعد حصره لعلم الدلالة في العلاقة الرابطة بين العلامات اللغوية وما تدل عليه، وعلم التراكيب فيما يربط العلامات اللغوية بعضها ببعض، وعلاقة العلامات بمستعملها هو النظر في الإجراءات التي تسمح بتأويل الملفوظات ضمن السياقات التي نتجت عنها؛ لأنها تعنى بدراسة اللغة ضمن الاستعمال مقابل دراسة اللسان كمنظومة من الأدلة (طه عبد الرحمن: 1998م، ص 237). وقد ساهم العديد من فلاسفة القانون في نشأة التداولية، أهمهم: (أوستين) صاحب نظرية (الأفعال الكلامية)، و(بيرلمان) صاحب النظرية (الحجاجية) الحديثة، وكذلك على يد فلاسفة اللغة التحليليين، أمثال: (سيرل)، و(فتجنشتاين). كما أشار (دو سوسير) وبعض ممن سبقه من علماء اللغة والاجتماع إلى ماهية اللغة التي تكمن في الصبغة الاجتماعية والتأسيسية. وحول ذلك أورد (طه عبد الرحمن) قوله: "ولما كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبيين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تتضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية، أو فائدتها التواصلية، تُسمّى بقواعد التبليغ، كما لزم أن تتضبط هذه الأفعال بقواعد تحدد وجوه استقامتها الأخلاقية، أو التعاملية، تُسمّى بقواعد التهذيب" (طه عبد الرحمن: 1998م، ص 237). فيما ذهبت الدراسات إلى أن (شارل بيرس) (1839- 1914م) هو أول من ابتكر كلمة (البرجماتية)، وذلك في مقالته الشهيرة: (كيف نجعل أفكارنا واضحة؟)، ومما جاء فيها: "لكي نبلغ الوضوح التام في أفكارنا من موضوع ما، فإننا لا نحتاج إلا إلى اعتبار ما قد ترتب من آثار يمكن تصورها ذات طابع عملي، قد يتضمنها الشيء أو الموضوع، ثم أضاف بأن أي فكرة لها تأثيرها على أفعالنا". والبرجماتية عنده ليست تلك النظرية الفلسفية، بل منهج في التفكير (محمد رشوان: 1984، ص 199). وقدم (بيرس) إسهاماً كبيراً حين ميّز بين النمط والورود، فالنمط: هو علامة لها كيان مجرد مثالي، وتقع في اللسان أي في الوضع اللغوي. كما ميّز بين المواد الدالة والمدلول، أو الممثل والمؤول (فرانسوا أرمينكو، 1987، ص 16). فالمواد الدالة المكونة من حامل ومحمول، والمدلول الذي يُمثّله الدال (فيليب بلانشيه، 2007م، ص 41). أما الورود فهو: (الاستعمال الملموس للنمط في السياق)، ولكن لم يظهر تقسيم (بيرس) بالوضوح

التداولي الذي ذكره (موريس) (فيليب بلانشيه، 2007م، ص42). وقد تأثر بأفكار فلسفة (فريجه) التحليلية عدد من الفلاسفة منهم: (فيتغنشتاين، وأوستن، وسيرل، وهوسرل)، وغيرهم، وتجمع هؤلاء مقولة مفادها أن: "فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تُعَبِّرُ عن هذا الفهم" (مسعود صحراوي: 2005م، ص 23). ومن ثم لعب (لودفيغ فيتغنشتاين) دوراً مهماً في إسقاط الفلسفة التحليلية على اللغة، وأسس اتجاهاً جديداً أسماه (فلسفة اللغة العادية)، وقوامها (الحديث عن طبيعة اللغة، وطبيعة المعنى في كلام الرجل العادي). ولعل أهم ما يُمَيِّزُ فلسفته التحليلية "بحثه في المعنى، وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتاً ولا محدداً، ودعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم" (مسعود صحراوي: 2005م، ص 20). ورأى (فيتغنشتاين) أن الخطاب ليس مجرد عملية تبليغية بين طرفين ضمن إطار زمني ومكاني، ولا هو أفعال كلامية تتحقق وفق نسق قانوني معين، إنما هو لعبة تضبطها قواعد محددة ترتبط مباشرة بكل فعل من أفعال الحياة، وهذه القواعد تتشكل في ثلاثة أنواع: قواعد اجتماعية، وقواعد استبدالية، وقواعد نحوية، والاصطلاح هو الذي يُحدِّد لنا وجه القاعدة الاجتماعية؛ ووضع (فيتغنشتاين) قيدا لمفهوم القاعدة، لا يعدو كونه لعبة من ألعاب اللغة؛ فإن المشارك في الخطاب لا يصح له خرق قواعدنا الأساسية وغير الأساسية التي يدعوها (القواعد الفردية). والحال أن هذه القواعد هي نماذج ومُثَلٌ صالحة لعدد كبير من أحوال المتخاطبين، فهي تسمح بتنوع النشاط الكلامي تنوعاً غير متناهٍ (الجيلاني دلاش: 1993م، ص 19). ولم يكتسب (فيتغنشتاين) العناية الحقيقية إلا بعد ما تبناه فلاسفة مدرسة (أوكسفورد) سيما (جون أوستن) الذي تأثر بـ (فيتغنشتاين)، ثم تبعه (جون سيرل) الذي أَلَفَ أفعال الكلام (مسعود صحراوي: 2005م، ص 24). ومن رُوَادِ التداولية (جون أوستن) الذي ألقى محاضراته في جامعة (هارفارد) ضمن برنامج (محاضرات وليام جيمس) عام (1955م). التي تُعَدُّ بوتقة التداولية، والتي مثَّلت الركن الأساسي خلال ثلاثين سنة (آن رويول، جاك موشلار: 2003م، ص 29). ورأى (أوستن) أن وظيفة اللغة لا تقتصر على نقل وإيصال المعلومات وإرسالها، أو التعبير عما يجول في خواطرنا من أفكار، وما يجيش في صدورنا من مشاعر وإظهارها. وإنما يجب أن تضطلع اللغة. وهو أمر موافق لطبيعتها . بتحويل ما بيد من أقوال، في إطار ظروف سياقية، إلى أفعال ذات سمات اجتماعية أن رويول، جاك موشلار: 2003م، ص 28). ويُعَدُّ (أوستن) وتلميذه (سيرل) من أبرز مؤسسي المدرسة التداولية، ثم

تبعهم في تطوير هذا المنهج الفيلسوف (بول غرايس) في جهوده الكبيرة التي طوّرت بها الدرس التداولي، ولا سيما في حديثه عن مبادئ المحادثة (محمد يونس علي: د.ت، ص 13).

وقد صاغ (غرايس) مبدأ التعاون الذي يقتضي أن المتكلمين متعاونون في تسهيل عملية التخاطب، ورأى أن مبادئ المحادثة المتفرعة عن مبدأ التعاون هي التي تفسر كيف نستنتج المفاهيم الخطابية، ويمكن تلخيص هذه المبادئ كالتالي: مبدأ الكم: بحيث نقول ما هو ضروري بالضبط ولا نزيد أكثر من الضروري، فنكلم بالقدر الذي يضمن تحقيق الغرض. مبدأ الكيف: فلا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه. ومبدأ الأسلوب: فيجب تجنب إبهام التعبير، وتجنب اللبس، أوجز كلامك، تجنّب الإطناب الزائد، ليكن كلامك مرتباً. مبدأ المناسبة: فيجب أن يكون كلامك مناسباً لسياق الحال. ثم طوّر العلماء نظرية (غرايس)، كما انتقدها البعض الآخر، ومنهم: (ويلسون، وسبيرير) اللذان شكّكا فيها واستثنيا مبدأ المناسبة، الذي جعلنا منه أساساً لنظرية سمّاها: نظرية المناسبة (محمد يونس علي: د.ت، ص 99-100). ولم يكن (غرايس) يطمح إلى تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، بل كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد، هو (فلسفة اللغة)، وكذلك تنظيم الدلالات تنظيماً جديداً ومفيداً (محمد رشوان: 1984، ص 200). ويعد (محاضرات وليام جيمس) ظهر (جون سيرل)، وهو فيلسوف أمريكي، ذاع صيت عمله، وكان وراء العديد من البحوث اللاحقة في مجال الأعمال اللغوية، وقد أعاد تناول نظرية (أوستين)، وطوّر فيها بُعْدَيْنِ من أبعادها الرئيسية، هما: المقاصد والمراجعات. ولم يهتم (سيرل) بالأعمال المتضمنة في القول، ولم يحفل بالأعمال القولية، وإسهامه الرئيس في التمييز داخل الجملة، بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول، وهو ما يسميه (اسم القوة المتضمنة في القول)، وما يتصل بمضمون العمل (آن رويول، جاك موشلار: 2003م، ص 33). ويُعدُّ (هانسون) من الذين اشتغلوا بالدرس اللساني التداولي، وساهموا في تطويره، وأول من حاول التوحيد بين مختلف مكونات التداولية، وذلك من خلال تقسيمه للتداولية على ثلاث درجات؛ فكل درجة تهتم بالسياق لكن توظيفه يختلف من درجة إلى أخرى، ومن هذه الدرجات: تداولية الدرجة الأولى: وتهتم بدراسة الرموز الشارحية (أي التعبيرات المبهمة)، ضمن ظروف استعمالها (أي سياق تلفظها). سياق هذه الدرجة هو الموجودات أو محدداتها، والسياق الوجودي وهو: المخاطبون، ومحددات الفضاء، والزمن (فرانسوا أرمينكو، 1987، ص 38). من جهة أخرى حصر

(مانغنو) التداولية في أنماط ثلاثة: القانون والمسرح واللعبة، والكلام باعتباره فعلاً متحققاً في الواقع لا ينفصل عن المؤسسة، فمجرد نطق المتكلم بصيغة الأمر يكون قد أضفى على نفسه مرتبة الأمر، فيضع الآخر في مرتبة المأمور، ويتحقق ذلك بتوفر شروط محددة، وهي شروط خاضعة لأعراف كل لغة (الجيلاني دلاش: 1993م، ص 19). ومنذ تغيرت الرؤية إلى أدبية النص، فبعد ما كان الاعتراف بما هو أدبي يتحقق بواسطة الخصائص البنيوية، وجملة الملامح اللفظية، أصبحت الأدبية تتحدد من خلال الاعتراف بإنتاج معين، واستقبال خاص، وعليه فقد تدرجت التداولية في مدارج التطور إلى أن أصبحت في مراحل متأخرة جداً نظرية تبحث في سياق الإنتاج والاستقبال، ثم إلى نظرية في الأفعال الكلامية (راضية بوكري: 2004، ص 6). ومن ثم تبلورت هذه النظرية، ورسمت منهجها الخاص، وحدودها المميزة لها، كنظرية مستقلة لها أسسها الفلسفية والقانونية، فقام هذا المنهج على العديد من المقولات والنظريات التي تطوف حول المعنى التداولي، وأهم نظرياتها هي نظرية الأفعال الكلامية (محمد يونس: د.ت، ص 123). وعليه فإن نشأة التداولية هي نتاج الحقول المختلفة، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، في حين رأى الباحثون أن للمدرسة التحليلية بزعامة (غوتلوب) (1925م) دوراً في تكوين التداولية؛ لأن هذه الفلسفة رأت أن أولى مهام الفلسفة هي البحث في اللغة وتوضيحها، وقد عدّ فلاسفة التحليل هذا المبدأ المنهجي علامة قوة لمنهجهم، ومن أهم ما أنكرته الفلسفة التحليلية على الفكر الفلسفي القديم أنه لم يلتفت إلى اللغات الطبيعية، ولم يؤلِّها ما تستحق من الدراسة والبحث، فسعت إلى ردم هذه الهوة، باتخاذ اللغة موضوعاً للدراسة، باعتبارها أولى الأولويات في أي مشروع فلسفي (محمد يونس: د.ت، ص 100).

وقد شهدت الدراسات التداولية تطوراً سريعاً في الغرب، ويُعزى هذا التقدم إلى جهود الباحثين الذين كان لهم باعٌ طويلٌ في هذا التطور. وكان من ثمار هذا التطور ميلاد (الجمعية التداولية العالمية). وفي معتزك هذا التطور، ظلت التداولية ذات وجهة فلسفية توجهها الممارسات الفلسفية، ولكنها شهدت تحولاً تدريجياً كحقل لساني، والإبقاء على كينونتها العلمية في معالجة المعنى اليومي. ورأى بعض الباحثين أن المذهب الذرائعي هو أحد مصادر التداولية، وأصل التسمية يعود إلى مُنظري السيميائية، مثل: (ش.س. بورس)، و(شارل موريس)، و(جون ديوي) (ميجان الرويلي وسعد البازعي: 2000م، ص 167). ومن ثم عادت التداولية بعد مرحلة مؤسسيها (أوستين)، و(سيرل) إلى التحليل الحجاجي، سيما مع لسانيين

نحو: (أزفالد ديكر)، و(كبريات أوركينيوني)، بالإضافة إلى مؤسس (النظرية التواصلية) (فان دي جك)، الذي وضع تخطيطاً للذرائعية الأدبية بوصفها مكملاً لنظرية النص (خوسيه ماريا: د.ت، ص 76).

أما بالنسبة للعرب فقد ظهر اهتمام بالدرس التداولي مؤخراً تجلّى في بعض البحوث الأكاديمية المنجزة؛ منها: (الأفعال المتضمنة في القول) (لمسعود صحراوي)، وله مؤلف بعنوان: (التداولية عند العلماء العرب)، وصف التداولية فيه بأنها: علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره (مسعود صحراوي: 2005م، ص 16). وكذلك بحث (إدريس سرحان) بعنوان: (طرق التضمن الدلالي والتداولي في اللغة العربية)، بالإضافة إلى (الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة) (لخالد ميلاد) (تونس) وغيرهم من المهتمين (شيبز رحيمة: 2009م، ص أ- ب). ويأتي كتاب (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام) (لطه عبد الرحمن)، والذي يستند إلى المنطق والفلسفة واللسانيات في دراسة التراث، وينطلق من أن الخطاب في حقيقته لغة تبليغية تدللية توجيهية، واللسانيات في نظره ثلاثة مجالات: الداليات وتشمل: الدراسات العاكفة على الدال الطبيعي، وتمثلها العلوم الثلاثة: الصوتيات، الصرفيات، والتركيبيات. والداليات وتشمل: الدراسات الوصفة لعلاقات الدوال ومدلولاتها، سواء أكانت تصورات ذهنية أم أعياناً في الخارج. والتداوليات وتشمل: الدراسات الوصفة لعلاقة الدوال الطبيعية ومدلولاتها مع الدالين بها، وأبواب هذا القسم هي: أغراض الكلام، ومقاصد المتكلمين، وقواعد التخاطب (طه عبد الرحمن: 2000، ص 27-28).

#### رابعاً: أهمية التداولية، مبادئها، ومهامها:

التداولية منهج نقدي جديد يتناول النصوص الإبداعية، بوصفها حقيقة متعددة الوجوه، ولها آفاق زمانية ومكانية تُعَيَّرُ عن الخطاب بين المتكلم والمخاطب، والتواصل داخل نصوص اللغة والأدب، كما تجتهد في رسم دائرة الدلالة، وتأكيد الممارسة التراثية في مجال اللسان والنص، والتعبير عن انفتاح القارئ والمتلقي، والمؤول والحامل على النص المكتوب. تقوم على أسبقية الاستعمال الوصفي والتمثيلي للغة، وأسبقية النظام والبنية على الاستعمال (فرانسواز أرمنيكو: 1987، ص 9). لذلك فقد أثارت اهتمام كثير من قبل الباحثين في مختلف المجالات، فهي فضاء مفتوح على مختلف المعارف الإنسانية، علم الاجتماع،

وعلم النفس، وعلم الاتصال، وعلم الذكاء الاصطناعي، وقد اتخذت لنفسها موقعا في الأبحاث اللسانية، ولعل المزية التي تحملها التداولية هي إيلاء أهمية كبرى لأقطاب العملية التواصلية اللسانية، فاهتمت بالمتكلم ومقاصده، بوصفه عنصراً فاعلاً في عملية التواصل، ومنحت أهمية للظروف السياقية، بوصفها عناصر مساعدة في تأدية هذه المقاصد، وعوّلت كثيراً على استغلال المستمع للظروف السياقية في سبيل الوصول إلى المعنى الذي قصده المتكلم (شيتير رحيمة: 2009م، ص أ- ب). كما تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولّد المعنى، وليس للتداولية تحليل خاصّ بها، ولا موضوعات مترابطة، كما أن التداولية تدرس اللغة من جهة وظيفة عامة: (معرفية، اجتماعية، ثقافية)، وتُعَدُّ التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة (محمود أحمد نخلة: 2011م، ص 178).

وعلى الرغم من كون التداولية تعمل في حقل الاستعمال إلا أنها لا تهمل الوضع، فالاستعمال يقوم متكناً عليه ومستنداً إليه، واستعمال اللغة الموضوعية يُعَدُّ جزءاً من مبدأ التعاون بين المتخاطبين، الذي يُعَدُّ من مبادئ التداولية، إذ الوضع اللغوي هو المشترك بين أفراد الجماعة اللغوية، فيجب الالتزام بقواعده العامة حتى يتحقق التعاون اللغوي بين أفراد هذه الجماعة، ولا تحدث المخادعة التي تضيع المعنى. وبالرغم من استناد الاستعمال على الوضع إلا أنه يفارقه ويجوزه؛ ليلبي حاجة المتكلم، وقد درس العلماء قديماً أسباب هذه المفارقة في حديثهم عن أسباب المجاز، من المبالغة والانتساع والتوكيد، وفي حال عدل المتكلم عن الدلالة الحرفية للغة عليه أن ينصب قرينة على عدوله، وأن تكون هناك مناسبة بين الداليتين الوضعية والمعنى المراد (يونس، د.ت ص 63).

وتهتم بدراسة اللغة من منظور تداولها بين مستعملها بالبحث عن المعاني التي يقصدها شركاء التواصل، وعن افتراضاتهم وأهدافهم، والبحث عن أنواع الأفعال التي يؤديونها أثناء استعمالهم لها، وبحسب قول (جيف فرستشيرن): "ليس للتداولية وحدات تحليل خاصة بها، ولا موضوعات مترابطة، وهي تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة (معرفية، اجتماعية، وثقافية)، كما أنها تُمَثِّلُ نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة، بوصفها صلة بينها وبين لسانيات الثروة اللغوية" (عيد بلبع: 2009م، ص 154). فوظيفة اللغة الأساسية الأولى هي التواصل في الخطابات التي تؤدّيها في بنية وموقف تواصلية، الهدف منها

إيصال المعلومات المرادة للمتلقي والتأثير فيه، وبناء علاقة معه؛ لينظر إلى الخطاب في كفاءات استخدام اللغة للوصول إلى الدلالات المتنوعة التي تؤديها في السياقات المختلفة (دحمن كاهنة: 2014م، ص 7).

وتقر الدراسات المهمة بالنقد الحديث أن دراسة المعنى وعلاقته بموقف الكلام توجه جديد يحتل قمة اهتمامات التداولية. وللکلام جوانب كثيرة طالها مجال الدرس التداولي هي: المخاطبون، والمخاطبون، وسياق التفوه، والفعل الإنجازي، والتفوه بوصفه نتاجاً. وقد نجم عن هذا الاهتمام تفرع موضوعات كثيرة مهمة، تجتهد التداولية في معالجتها والبحث فيها، منها: المفردات التأشيرية، والتضمينات المحادثية، والاقتضاء، والمعاني الحرفية، والمعاني السياقية، وأفعال الكلام وتصنيفاتها، وتحليل الخطاب، وتحليل المحادثة، وبالنظر إلى مباحثها، تغدو التداولية بحق نظرية استعمالية، حيث تدرس اللغة في استعمال الناطقين بها، ونظرية تخاطبية تعالج شروط التبليغ والتواصل، الذي يقصد إليه الناطقون من وراء الاستعمال (طه عبد الرحمن: 1988م).

وعندما تحولت الدراسات اللسانية من مجال اللغة إلى مجال الأدب، صارت تُعْتَبَر بالتداولية الأدبية، التي موضوعها دراسة النصوص وتحليلها، والتي كانت منصبه على المستوى النحوي والدلالي والمعجمي، إلى المستوى التداولي، حيث انصبحت الجهود في حقل النصوص الأدبية على مفهوم (التواصل) القائم على أساس الفهم والتأويل. هذا التواصل الذي كان محل اهتمام القراءة، باعتبارها تواصلاً يتحقق بين القارئ وموضوع القراءة، فالوصفية النقدية في إطار عملية القراءة، وظيفه تقوم على أساس السعي إلى تحقيق تواصل فعال بين القارئ وموضوع القراءة. وكأي تواصل تحتاج عملية القراءة إلى أسباب لعناصر الموضوع المقروء، وإحاطة بالعوامل الفاعلة فيه، مثل السياق، ومقاصد الكلام (محمد ادويان: 1994، ص 25).

وكون التداولية تبحث عن المعنى، لا شك بأنها ستكون ملتقى الدراسات المختلفة أدبية، وقانونية، وفلسفية، فهذا شأن مسائل المعنى؛ لأن طبيعة المعنى وتحصيله يتداخل فيه كل ذلك، فكلُّ له من المعنى نصيب في النظر والبحث، وكلُّ يراه من زاويته، لذا فلا غرابة أن تولد التداولية متأثرة بالدراسات الفلسفية



والمنطقية والقانونية. بينما رأى (مصطفى غلفان) أن كثيراً ما يشكو الدارسون حديثاً من قلة الاهتمامات بالدراسات التداولية في الثقافة العربية الحديثة بشكل عام (مصطفى غلفان: 1998م، ص 249).

وقد اهتمت التداولية بالجانب الاتصالي، ودرست اللغة في علاقتها بمستخدميها، في حين استبعدت ذلك الدراسات اللسانية، واعتنت فقط بالتركيب والمعاني. وهذا الجانب ظل مستبعداً دائماً من قبل اللسانيين الذين ركزوا على جوانب القواعد الشكلية، وميزوها عن الاستخدام اليومي العادي. وفي هذا الصدد أكد كلٌّ من: (ميجان الرويلي، وسعد البازعي) في على هذا الكلام بقولهما: وفي الطرح اللساني، ركزت الذرائعية على ما أهملته اللسانيات. فإذا ركزت اللسانيات على علم التركيب وعلم المعاني، فإن الذرائعية ركزت على الجانب الاتصالي، أي علاقة الإشارة بمستخدميها. وقد اتبع (نعوم تشومسكي) هذا النهج، إذ سعى إلى استخلاص موضوع ألسني، وعزله عن الاستخدام العام اليومي؛ ليكون قابلاً للدرس العملي، لكن ردود الفعل توالى حديثاً ضده، ورأى أصحاب الذرائعية (أو التبادلية) أن اللغة لا يمكن أن تتعزل عن استخدامها، وتتحصر في علمي النحو والمعاني، بل إن الاتصال يلعب دوراً فاعلاً (ميجان الرويلي وسعد البازعي، 2000 م، ص 169). ومع التطور الطارئ على الدراسات الأدبية الحديثة فقد ركزت الذرائعية على سمة الأدب الاتصالية، انطلاقاً من أن الاتصال عموماً لا يكتمل دون أخذ الأدب وسياقه في الاعتبار. كما أن دراسات الأدب لا تكتمل دون الأخذ في الاعتبار توظيف الأدب لمصادر الاتصال المختلفة. فلم يعد الأدب نصاً مغلقاً أو بنية شكلية معزولة عن السياق، بل إن هذا الاتجاه أعاد إلى الدرس الأدبي الصلة القديمة بين الخطابة والشعرية. ولهذا فإن الدراسة الذرائعية التبادلية للأدب تسعى إلى اكتشاف التقنيات العلمية في النص كالإيحاء، والافتراض المسبق، والإقناع، وربطها بالقوى الخارجية في عالم الكاتب والقارئ، مثل علاقات القوى، والتقاليد الثقافية، وأنظمة النشر والتوزيع، والرقابة، والتركيز على صلات الاتصال والتفاعل الفعلي (ميجان الرويلي وسعد البازعي، 2000 م، ص 169) كما تهتم التداولية اللسانية بدراسة معنى الملفوظات داخل السياق، بالإضافة إلى وصف دلالة المقترحات السيميائية ووصف وظيفة فعل الكلام المتحقق في الملفوظ، حينما تُشكّل الجملة والمقترحات وحدات معجمية ودلالية كبرى، ويظل فعل الكلام الوحدة التداولية الصغرى. ويشار إلى التداولية على أنها دراسة استعمال اللغة في سياق معين، ويميل علماء اللغة أحياناً إلى مباينة التداولية مع علم الدلالة الذي بدوره يدرس معنى الجملة. هذا

يعني أن التداولية تختص بتقصّي كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق؛ لغرض تفسير اللفظ، ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحياناً بين المعنى الحرفي للجمله، والمعنى الذي قصده المتكلم (جورج يول: التداولية، 2010م، ص 13):

وبالنظر إلى سعة دائرة اهتمامات التداولية، يصعب النظر إليها على أنها مذهب نقدي مختص، فقد تأكد للمختصين في هذا المجال أن الإحاطة بتعريف التداولية، وضبط مناهجها، وحصر أهدافها من الصعوبة بمكان، سيما أن التداولية تخضع لهيمنة تيارات علمية مختلفة، وتتداخل أسسها المنهجية، ويصعب على المتتبع لتطور اللسانيات المعاصرة أن يعرف الحدود الفاصلة بين المجالات اللسانية المعروفة وبين التداولية، ويستعصي عليه بالتالي تحديد موضوعها، وإبراز نماذجها النظرية. وهذا ما أدلت به (كاترين أوركيني) حول الغموض الذي يعتري حدود التداولية بقولها: هل التداولية أو التداوليات تخصص أو ملتقى تخصصات مختلفة؟ فيما أدلى (أرمونجو فرانسواز) بأن: الإجماع لم يتحقق بعد بين الباحثين فيما يخص تحديد فرضيات التداولية، ولا حتى فيما يخص مصطلحاتها، وتداخلها في الاختصاصات بين اللسانيين، والمناطق، والفلاسفة، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع

(Armengaud Françoise , , 1985 , P P 10-9).

في حين تم تعيين مجموعة من القضايا اللغوية التي هي محل اهتمام التداولية، وتدخل في نطاق تخصصها. ومعرفة جملة من المسائل التي تُشكّل موضوعاً لها. ومن ذلك محاولة التداولية الإجابة على الأسئلة التي كانت محل قلق للمبحث اللساني. ومن هنا تبدو قيمة البحث التداولي في كونه يسعى إلى الإجابة عن بعض الطروحات اللسانية، نحو: من يتكلم؟ من هو المتلقي؟ ماذا نقصد أثناء الكلام؟ كيف نتكلم بشيء، ونسعى لقول شيء آخر؟ ماذا علينا أن نفعل حتى نتجنب الإبهام والغموض في عملية التواصل؟ وهل المعنى الضمني كافٍ لتحديد المقصود؟ (علي آيت أوشان: 2000م، ص 56-57).

### خامساً: خاتمة:

من خلال ما سبق يتضح أن: لفظ (التداول) لغةً يدل على التناقل والتحول، وقد اكتسب مفهوم التحول والتناقل من الصيغة الصرفية (تفاعل)، الدالة على تعدد حال الشيء، كما ينتقل المال من هذا إلى ذلك، أو الغلبة في الحرب من هؤلاء إلى هؤلاء. وهذه المعاني: التحول والتناقل تقتضي وجود أكثر من حال، ينتقل بينها الشيء، فتلك حال اللغة؛ متحولة من حالٍ لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، ومنتقلة بين الناس يتداولونها بينهم. ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتاً بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى. كما استحدث (طه عبد الرحمن) مفهوم (المجال التداولي) للفعل (تداول)، ومثال ذلك: (تداول الناس بينهم) أي: تناقله الناس وأداروه بينهم. فالنقل والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل، وفي استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين، ليأتي التداول جامعاً بين اثنين هما: التواصل والتفاعل.

والتداولية تخصص لساني يحدد موضوعه في المجال الاستعمالي، أو الإنجازي لما نتكلم به؛ ويدرس كيفية استعمال المتكلمين للأدلة اللغوية أثناء حواراتهم وأحاديثهم وخطاباتهم. وهي علم يهتم بعلاقة اللغة بمستعملها، هدفه إرساء مبادئ الحوار. كما تدرس الأفكار، والمعاني، والألفاظ، والمفاهيم، والإشارات وكل ماله علاقة باللغة. وتُعنى بكيفية تأويل مستعملي اللغة للخطابات والأحاديث، والاهتمام بمنشئ الكلام، وتُعَدُّ التداولية محط اهتمام الجميع، ولا يمكن تصنيفها في أي مجال أو جانب محدد في اللغة، بل تستوعب مجالات عديدة، وتهتم بالبحث عن الأسباب التي تؤدي إلى نجاح المتحاورين أثناء إجراء المحادثة أو التخاطب.

كما أنها تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما تُعنى من جانب آخر بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث، وهي أداة للتفسير والنقد

معاً، تبدو قيمتها في اعتبارها وسيلة معرفية تعين على الفهم والمعرفة والتمييز فيما يتم بحثه، وقياس درجة الصحة والخطأ في المواضيع المدروسة كما تعمل التداولية على الربط بين الكلام والإدراك، وعلم اللغة وعلم التواصل عن طريق علم النفس المعرفي، أي دراسة الآليات المعرفية (المركزية) التي هي أصل معالجة الملفوظات وفهمها، ودراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي. وتعدُّ حلقة وصل بين حقول معرفية عديدة، منها: الفلسفة التحليلية، وعلم النفس المعرفي، وعلوم التواصل، وتعمل التداولية على إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي.

وعليه فقد ناقش هذا البحث التداولية من عدة جوانب سبق ذكرها وقد خلص إلى النتائج الآتية: تعد التداولية منهجاً غنياً وبإدخ الثراء للدراسة والبحث، إلا أنها مكثفة ومتراكمة ومتراصة ومتداخلة الأطراف، لذا فإنها بحاجة ماسة لمزيد من الدراسات والأبحاث الجادة والفعالة والحديثة ؛ لتزداد إيضاحاً وضبطاً وتقنياً وتصنيفاً. حيث قدمت الدراسات العربية القديمة بفروعها المتعددة: (النحو، والبلاغة، والفقه، والأصول، والتفسير، والقراءات) دراسات تداولية شاملة، وقد تميزت دراسة اللغة في التراث العربي القديم ببعض السمات التي أصبحت من أهم المبادئ التداولية الحديثة، ومنها دراسة استعمال اللغة، وما يتصل بها من قرائن غير لفظية منها على سبيل المثال: منزلة المتكلم وعلاقته بالسامع، وحالة كل منهما النفسية، والاجتماعية، والأدائية نحو: (الحركة، والسكون، وظروف التواصل المصاحبة الزمانية والمكانية وغيرها).

كما ربطوا بين البنية والوظيفة في دراسة اللغة، ودرسوا وظائف التخصيص المتمثل في: التقييد، التوكيد، وميزوا بين بنية الجمل تمييزاً وظيفياً. وقد تعددت القدرات المعرفية إلى: معرفة لسانية (معرفة الدلالات والمعاني). ومعرفة لغوية (امتلاك المتكلم لقواعد لغته). ومعرفة خطابية (امتلاك قواعد إنتاج الخطاب). وقد انتشرت التداولية انتشاراً ملحوظاً في حقول الدراسات والأبحاث الغربية الحديثة، إلا أنها مازالت في بداياتها لدى الدارسين والباحثين العرب، على الرغم من وجود آثارها في التراث العربي القديم في

كل من: البلاغة والفقه والفلسفة وأصول الفقه، لكنها أهملت ولم يتم تناولها في الدراسات والأبحاث الحديثة والمعاصرة إلا ما ندر.

وقد خرج البحث ببعض التوصيات والمقترحات منها: من الأهمية بمكان تفعيل منهج التداولية والاهتمام به من خلال الدراسات والأبحاث الحديثة، والاستفادة منه في شتى الدراسات اللسانية والنقدية واللغوية والأدبية، نظراً لأنه يعد نقطة التقاء العلوم الإنسانية والاجتماعية والتواصلية وكل ماله علاقة باللغة، ودراستها من جوانب متعددة: إبداعية وفنية واجتماعية وتواصلية ونفسية، وكذلك دراسة الأفكار، والمعاني، والألفاظ، والمفاهيم، والإشارات، ودراسة الظواهر الأدبية والثقافية والفنية والجمالية.

#### سادساً: قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

- القرآن الكريم :

- المعاجم اللغوية:

- ابن جني: (1418هـ) الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد، مصر، ج1، المكتبة التوفيقية.

- ابن فارس: (1963م) الصحابي في فقه اللغة، حققه وقدم له مصطفى الشويبي، بيروت، لبنان، مؤسسة بدران للطباعة والنشر.
- ابن فارس: (1991م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ط2، ج 2، دار الجيل.
- ابن منظور: (د.ت) لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (دول).
- حنا، سامي؛ حسام الدين، كريم؛ جريس، نجيب (د.ت): معجم اللسانيات الحديثة، إنجليزي-عربي - لبنان، مكتبة لبنان للنشر.
- الرازي: (1987م) مختار الصحاح، بيروت، لبنان، دار الجيل.
- الزبيدي: (1994م) تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الزمخشري: (1982م) أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، تعريف أمين الخولي، بيروت، لبنان، دار المعرفة.
- الزمخشري: (د.ت) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج 2، بيروت لبنان، دار المعارف.
- السيوطي: (199م) الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي، منشورات محمد علي بيضون، لبنان، ط1، دار الكتب العلمية.
- الطبري: (1995م) ، قدم له وراجعه مروان سوار، ط7، دار الفجر الإسلامي.
- الفيروز آبادي: (د.ت) القاموس المحيط، ج4، بيروت، لبنان، دار الجيل.

## 1- الكتب والمؤلفات العربية:

- آيت أوشان، على: (2000م) السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط1، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة.
- بلبع، عيد : (2009م) التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقيا موريس، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ط1، مصر، بلنسية للنشر والتوزيع.
- بو جادي، خليفة:(2009م) في اللسانيات التداولية، العلمة، ط1، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع.
- رشوان ،محمد: (1984م) مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ط2، دار الثقافة.
- الرويلي ،ميجان؛ البازعي، سعد:(2000م) دليل الناقد الأدبي، ط3، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- صحراوي ، مسعود:(2005م).التداولية عند العلماء العرب، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- عبد الرحمن، طه: (1988م) حوار في اللسانيات والمنطق، دراسات سيميائية لسانية أدبية، العدد الثاني، المغرب.
- عبد الرحمن، طه: (1993م) تجديد المنهج في تقويم التراث، المغرب، المركز الثقافي في العربي.
- عبد الرحمن، طه: (1998م) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المغرب، دار الفكر العربي.

- عبد الرحمن، طه: (2000 م) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- المتوكل، أحمد: (1985م) الوظائف التداولية في اللغة العربية، المغرب، ط1، منشورات الجمعية المغربية.
- المتوكل، أحمد: (1989م) اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، المغرب، منشورات عكاظ.
- نخلة، محمود: (2011م): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة النشر.
- يونس، محمد: (2004م) مدخل إلى اللسانيات، بيروت، لبنان، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- يونس، محمد: (دت) علم التخاطب الإسلامي، بيروت، دط. دار الكتاب الجديد.
- يونس، محمد: (دت)، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، بيروت، دار الكتاب الجديد.

## 2- الدراسات والرسائل العلمية:

- رحيمة، شيتير: (2008-2009م)، تداولية النص الشعري: جمهرة أشعار العرب نموذجاً، (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة.
- غلفان، مصطفى: (1998م) اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم (04)، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب.
- كاهنة، دحمون: (2014م) تداولية الخطاب السردى بين القديم والحديث، (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر.



### 3- الأبحاث، والمقالات، والمحاضرات، والمنشورات (الدوريات):

- ادويان ،محمد: (1994م) نظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، العدد الأول، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، يناير، الصفحات 43-23
- بويكري، راضية (2004م) : التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقارنة نظرية، مجلة الموقف الأدبي، ع399، اتحاد الكتاب العرب دمشق، تموز، الصفحات 2- 22.
- سويرتي ،محمد: (2000م) اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال)، مجلة عالم الفكر، مج 28، ع3، المجلس الوطني للثقافة- والفنون والآداب، الكويت، يناير/ مارس، الصفحات 29- 49.
- لهويل، باديس: (2011 م) التداولية والبلاغة العربية، مجلة المختبر، أبحاث في اللغة والأدب، العدد السابع، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، الصفحات 155- 177.
- 4- الكتب المترجمة:**
- أرمنيكو، فرانسواز: (1987م) المقاربة التداولية، ترجمة، سعيد علوش، المغرب، مركز الإنشاء القومي.
- بلانشيه، فيليب: (2007م) التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ط1، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع.
- جورج، بول: (2010م) التداولية، ترجمة، قصي العتايي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1.

- الجيلاني، دلاش: (1993م) مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة، محمد يحياتن، الجزائر.
- خوسيه، ماريا: (دت)، بوثيلو إيقانكوس: ترجمة حامد أبو حمد، سلسلة الدراسات النقدية، القاهرة، مكتبة غريب.
- رويول، آن ؛ موشلار، جاك: (2003م) التداولية اليوم، تر، سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.

#### 5- المؤلفات الأجنبية:

- Armengaud Françoise , La pragmatique que – sais – je ? PUF , 1985 .
- Oswald Ducrot et Jean-Marie Schaeffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd. du Seuil, [1972], 1995.

#### 6- المواقع الإلكترونية:

- الثامري، عادل : التداولية واللسانيات، مجلة دروب، مقال في 19 / 5 / 2006م . الموقع [www.doroob.com](http://www.doroob.com)